﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢﴾ [الأعراف: 202]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربْطُ حالِ المتَّقين مع طائفِ الشَّيطانِ، بحالِ الغاوينَ مع الغيِّ والافتتانِ

لمّا ذكرَ حالَ المتَّقين إذا مسَّهم طائفٌ من الشَّيطان؛ ذكر هنا حالَ الغاوين من النّاس، وهم إخوانُ الشَّياطين، ليظهرَ فضل العَوذِ واللُّجوءِ إلى الله تعالى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾: المدُّ هو جَرُّ شَيْءٍ في طولٍ، واتِّصال شَيْءٍ بشَيْءٍ في اسْتِطالَةٍ، تَقولُ: مَدَدْتُ الشَّيْءَ أَمُدُّهُ مَدًّا، ويدلُّ على الجذْب والزّيادة، والمعنى المحوريُّ: استطالةُ جرم الشَّيء في نفسِه أو باتِّصاله بغيره، فيزيدهُ طولًا واستمرارًا، أو قدرًا[1].

2) ﴿ٱلۡغَيِّ﴾: ضدُّ الرُّشدِ، فهو ضلالٌ مسبَّبٌ عن هوًى أو ما هو من بابهِ، والغيُّ جهلٌ من اعتقادٍ فاسد[2].

3) ﴿يُقۡصِرُونَ﴾: القِصَرُ: خِلافُ الطّولِ، يَقولُ: هو قَصيرٌ بَيِّنُ القِصَرِ، ويُقالُ: قَصَّرْتُ الثَّوْبَ والحَبْلَ تَقْصيرًا؛ إذا حَبَسْتُهُ، وهو مَقْصورٌ، أيْ: مَحْبوسٌ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢﴾ [الرحمن: 72]، وقَصَّرَ في كذا، أي: توانى، وقَصَّرَ عنه لم: ينله، وأقْصَرَ عنه: كفَّ مع القدرة عليه، ومنه قوله: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ واقْتَصَرَ على كذا: اكتفى بالشَّيءِ القَصيرِ منه، أي: القليل[3].

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (مدّ).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (غوى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قصر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بـيـانُ حـالِ الشَّياطين من الإنسِ والجانِّ، في إمـدادِهـم للضّالّين في كلِّ آنٍ

وإخوانُ الشَّياطين، وهم الفجّارُ من ضلالِ الإنسِ تمدُّهم الشَّياطينُ من الجنِّ في الضَّلالَةِ والغَواية، ولا تدَّخر شياطين الجنِّ وُسْعًا في مدِّهم شياطين الإنس في الغيِّ، ولا تدَّخر شياطين الإنس وُسْعًا في عمل ما توحي به شياطين الجنِّ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾، وأثرُها في المعنى:

الضِّدِّيَّةُ مُناسَبَةٌ يَحْسُنُ بها عَطْفُ حالِ الضِّدِّ على ضِدِّه

الواو عاطفةٌ، عَطْفٌ على جُمْلَةِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: 201] عَطْفُ الضِّدِّ على ضِدِّه، فإنَّ الضِّدِّيَّةَ مُناسَبَةٌ يَحْسُنُ بها عَطْفُ حالِ الضِّدِّ على ضِدِّه، فلَمّا ذَكَرَ شَأْنَ المُتَّقينَ في دَفْعِهم طائفَ الشَّياطين؛ ذَكَرَ شَأْنَ أضْدادِهم من أهْلِ الشِّرْكِ والضَّلالِ، كما وقَعَتْ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البَقَرة: 6][2].

نكتةُ ذكرِ لفظِ (إخوان) دونَ (إخوة):

جمعُ الأخِ على (إخـوان) كثيرٌ في غيرِ النَّسبِ، وورد قليلًا في النَّسَبِ

الإخوةُ والإخوانُ جمعُ أخٍ، سواءٌ في ذلك أخو النَّسب وأخو الصَّداقةِ، وقال أهلُ البصرةِ: الإخوة في النَّسب، والإخوانُ في الأصدقاء، وقال أبو حاتم: هذا غلطٌ، بل كلٌّ يستعمل فيهما[3].

هذا، وقد وردَ (الإخوان) جمعًا في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعًا[4]، وبالنَّظر في سياقاتِها رأيتُ أنَّه مستعملٌ في الدَّلالة على قوَّةِ الرّابطة، وما تستلزمه الأخوَّةُ من حقوقٍ وواجباتٍ،

(1) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 176.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 233/9.
(3) الدّميري، النّجم الوهاج في شرح المنهاج: 135/6.
(4) على النّحو الآتي: البقرة: 220، وآل عمران: 103، 156، 168، والأنعام: 87، والأعراف: 202، والتّوبة: 11، 23، 24، والحجر: 47، والإسراء: 27، والنّور: 31، 61، والأحزاب: 5، 18، 55، وق: 13، والمجادلة: 22، والحشر: 10، 11.

فوردَ في سياقاتِ رابطةِ النَّسبِ، والنُّبوَّة، والإسلام، وأهل الجنَّة، والكفر، والنِّفاق، وموالاة الشَّيطان. كما وردَ (الإخوة) جمعًا في القرآنِ الكريم في سبعةِ مواضعَ[1]، وهناك موضعٌ ثامنٌ في قراءة (فَأَصْلِحوا بين إِخْوَتِكُم)[2] بالجمع، وبالنَّظر في سياقاتها تبيَّن أنَّها كلَّها في أُخوَّة النَّسب، ما عدا قولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات: 10]. والحقيقةُ أنَّ قولَ أهلِ البصْرَةِ معتبرٌ؛ إذ إنَّ جمعَ الأخِ على (إخوان) كثيرٌ في غيرِ النَّسبِ، وورد قليلًا في النَّسبِ، وقد ذكرَ ذلك ابن عطيَّة[3]، ولذلكَ أوثرَ التَّعبيرُ بقولِه: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ دونَ (إخوتُهم) للدَّلالةِ على ما بين هؤلاءِ الكافرين والشَّياطين من الرَّوابطِ والوشائجِ الدّافعةِ إلى الغواية والضَّلالِ.

فائدةُ إضافةِ (إخوانِ) إلى ضميرِ الغائبينَ:

الدِّلالةُ على شدَّةِ الالتصاقِ وكاملِ الانصياعِ رغمَ الضَّررِ الحاصلِ

الضَّميرُ في قولِه: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ عائدٌ على الشَّياطين، والضَّميرُ في قوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ عائدٌ على الكفّارِ، وهم المرادُ بالإخوان، فإضافةُ (إخوان) إلى ضميرِ الغائبينَ يدلُّ على شدَّةِ التصاقِهم بهم، واتِّباعهم لهم اتِّباع الأعمى لمن يقودُه، والضَّمير عائدٌ على الشَّياطينَ المفهومِ جمعُها من الجنسِ المذكورِ في (ال) في لفظِ (الشّيطان)[4].

إيثارُ الفعلِ: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ دونَ مرادفاتِه:

الدَّلالةُ على أصالةِ الغيِّ والضَّلالِ في أنفسِهم، واستطالةِ غَيِّهم وزيادتِه

من مدَّ الجيشَ وأمدَّهُ؛ إذا زاده، وألحقَ به ما يقوّيه، ويكثره، وكذلك مدَّ الدواة، وأمدَّها: زادها ما يصلحها، ومددتُ السِّرج

(1) على النّحو الآتي: النّساء: 11، 176، ويوسف: 5، 7، 58، 100، والحجرات: 10.

(2) وقد نسبت إلى ابن عامر في رواية يحيى بن الحارث، وأبي عمرو والنّقاش عن ابن ذكوان، ينظر: ابن مجاهد، السّبعة، ص: 606، وابن الجزريّ، النّشر: 376/2.

(3) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 498/13.

(4) قال الزّمخشريّ: "فإن قلت: لمَ جمع الضّمير في إخوانهم والشّيطان مفرد؟ قلتُ: المراد به الجنس، كقوله: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾". يُنظر: الزّمخشريّ، الكشّاف: 191/2.

والأرض؛ إذا استصلحْتُهما بالزَّيت والسِّماد، ومدَّهُ الشَّيطان في الغيِّ وأمدَّه[1]، وأوثرَ استعمالُ الفعلِ ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ دونَ مرادفاتِه لدلالتِه على أصالةِ الغيِّ والضَّلال في أنفسِهم، واستطالةِ غيِّهم وزيادته، فهو يحملُ معنيين، يقال: مدَّ وأمدَّ، أي: يطيلون لهم فيه، وقُرِئَ بالوجهين[2]، ويكون من الإمدادِ، أي: زادَ في عددِهِ النّاقصِ، يقال: أمددْتُ الشَّيءَ؛ إذا زدتُ فيه من غيره، وقد يكونُ من المدَّة، أي: أعطاهُ مدَّة وقدرًا، يقال: أمددتُهُ مدَّةً، أي: أعطيتُها له[3].

سرُّ إيثار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ والعدولِ عن (يُغْوونَهُم):

الإمـــــدادُ بالباطلِ يـؤولُ إلى المـفـسـدةِ والضَّلالةِ

قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ عدل فيه عن (يُغْوونَهُم) وهو أخصرُ؛ حتَّى لا يوهمَ أنَّ إغواءهم طارئٌ عليهم، أو أنَّهُم كانوا قبل ذلك على هدًى، ذلك "أنَّ عدوى الشَّرِّ تجيء من إخوانِ السّوء، وهم الَّذين يمدّون في الغيِّ، ويجعلون الضّالَّ يسير شاردًا عن هداه"[4].

الدلالةُ الصَّوتيَّةُ للفعل (مدَّ) في قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾:

إفـــادةُ امـتـدادِ الـــجِـــرمِ مـع اتِّصالِه، وتناغمِ الحروف في بنائِهِ

تُعبِّر الميمُ عن تضامٍّ والتئام ظاهريٍّ، والدّالُّ عن ضغطٍ ممتدٍّ يؤدّي إلى تماسك وامتداد أو احتباس، والفصلُ منهما يعبِّر عن تماسكِ الجِرْم، ويتمثَّل ذلك في استطالتِه، ويعبِّر التَّركيبُ عن امتدادِ الجرم مع اتِّصاله، وفي (أمد) تضيفُ ضَغطةُ الهمزة ما يؤكِّدُ دلالة الميم والدّالِّ[5]، وجعلوا الدّالَّ في (مدَّ) - لأنَّها مجهورةٌ - لما فيه معالجةٌ، والتّاء في (متَّ له بقرابةٍ) - لأنَّها مهموسة - لما لا علاجَ فيه[6]، ويشيرُ تضعيفُ صوتِ الدّالِ وتشديدِهِ على قوَّة المعنى

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 67/1.

(2) قرأ نافع وحده من السّبعة، وأبو جعفر: ﴿يُمِدّونَهُمْ﴾ بضمّ الياء وكسر الميم، وقرأ الباقون من السّبعة، ويعقوب: ﴿يَمُدّونَهُمْ﴾ بفتح الياء وضمّ الميم. يُنظر: ابن مجاهد، السّبعة، ص: 301، وابن الجزريّ، النّشر: 275/2.

(3) ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار: 25/4.

(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3042/6.

(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مدد).

(6) ابن جنّي، الخصائص: 67/1.

وتكراره، كما قال ابن جنّي: "فلمّا كانت الأفعال دليلةَ المعاني كرَّروا أقواها وجعلوه دليلًا على قوَّة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل"[1].

توجيهُ قراءةِ ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ وبلاغتها:

الـزّيـادة نتاجٌ لا مـنـدوحـةَ لـه عـن الـغـيّ المكين، والضَّلال المستبين

قرأ نافعٌ وأبو جعفرٍ: ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ بضمِّ الياء وكسر الميم[2]، وتوجيهها أنَّ مدَّ وأمدَّ لغتان، والأولى أكثر، أو أنَّ المعنى يزيدونهم من الغيِّ[3]، والوَجْهُ في قِراءَةِ مَنْ قَرَأ ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ أيْ: بضَمِّ الياءِ، أنَّهُ مِثْلُ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١﴾ [آل عمران: 21] (أيْ: هو اسْتِعارَةٌ تَهَكُّمِيَّةٌ)، والقَرينَةُ قَوْلُهُ: ﴿فِي ٱلْغَيِّ﴾[4].

دلالةُ صيغةِ الفعل المضارع:

الإمـدادُ بالغيِّ فـعـلٌ مـقـيـتٌ، يتجدَّدُ ولا يتبدَّدُ

في قوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾، تشيرُ صيغةُ المضارعِ إلى استمرارِ ذينكِ المدِّ والإمداد في الغيِّ إطالةً في الوقت وزيادةً في المقدار، وتجدُّدهما، وهذه الظّاهرة ممتدَّةٌ في الزَّمان في آنها، لتكرُّرِ الفعلِ باستمرارٍ، وامتداد الإمداد في مختلفِ الأزمانِ، وذلك ديدنُ الإغواء، وشأنُ الغيِّ إلى يوم القيامة.

بيانُ عائدِ الضَّميرِ المتَّصِل في قوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾:

إخـــــوانُ الـشَّـيـاطـين تـمـدُّهـم الـشَّـياطين في الـغـيِّ، وبئس الإمدادُ

أي: وإخوانُ الشَّياطين تمدُّهم الشَّياطين في الغيِّ[5]، فضَميرُ وإخْوانُهُم عائِدٌ إلى غَيْرِ مَذْكورٍ في الكَلام، إذْ لا يَصِحُّ أنْ يَعودَ إلى المَذْكورِ قَبْلَهُ قَريبًا؛ لأنَّ الَّذي ذُكِرَ قَبْلَهُ الَّذينَ اتَّقَوْا فلا يَصِحُّ أنْ يَكونَ الخَبَرُ، وهو يَمُدّونَهُم في الغَيِّ مُتَعَلِّقًا بضَميرٍ يَعودُ إلى المُتَّقينَ، فتَعَيَّنَ أنْ يَتَطَلَّبَ السّامِعُ لِضَميرِ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ مَعادًا غَيْرَ ما هو مَذْكورٌ في الكَلامِ بقُرْبِه، فيُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ الضَّميرُ عائِدًا على

(1) ابن جنّي، الخصائص: 157/2.
(2) الدّاني، التيسير: 115، وابن الجزريّ، النّشر: 275/2.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 108/9، ومكّي القيسيّ، الكشف عن وجوه القراءات: 487/1.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 235/9.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 337/13.

مَعْلوم مِنَ السّياقِ وهُمُ الجَماعَةُ المُتَحَدَّثُ عنهم في هذه الآياتِ أعْني المُشْرِكينَ المَعْنيّينَ بقَوْلِه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ إلى قَوْلِه: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: 190 - 192]، فيَرُدُّ السّامِعُ الضَّميرَ إلى ما دَلَّ عليه السّياقُ، بقَرينَةِ تَقَدُّمِ نَظيرِه في أصْلِ الكَلامِ، ولِهذا قالَ الزَّجّاجُ: هذه الآيَةُ مُتَّصِلَةٌ في المعنى بقَوْلِه: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: 192]، أيْ: وإخْوانُ المُشْرِكينَ، أيْ: أقارِبُهُم ومَنْ هو مِن قَبيلَتِهم وجَماعَةِ دينِهم، ويَجوزُ أنْ يَعودَ الضَّميرانِ إلى الشَّيْطانِ المَذْكورِ آنِفًا باعْتِبارِ إرادَةِ الجِنْسِ أوِ الأتْباعِ[1]، وقد فهم بعضُهم - وليس الفهمُ ببعيدٍ - أنَّ المرادَ بإخوانِهم، هم إخوانُ المؤمنين من المنحرفين، وأصحاب الأهواء والبدع، ومن المشركين والضّالين، وأنَّ هؤلاء جميعًا هم شياطينُ مسلَّطون على المؤمنين، يحاولونَ جاهدين أن يمدّوهم بالغَيِّ والضَّلال، والمؤمنون - مع هذا - في إعراض عنهم، وتسميَةُ هؤلاء الغوّاة من المشركين والضّالّين إخوانًا للمؤمنين، هو لما بينهم من صلات القرابةِ والنَّسب، ومن جهةٍ أخرى؛ فإنَّ هؤلاءِ المشركين الضّالّين، كان من شأنِهم - لو عقلوا - أن يكونوا إخوانًا لهؤلاءِ المؤمنين، أخوَّة إيمان وتقوى، بعد أن كانوا إخوانًا لهم، نسبًا وقرابة، ولكن فرَّق بينهم هذا الضَّلالُ الَّذي هم فيه[2].

فائدةُ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾:

يُريدُ تغلغلَهم في غياهبِ الضَّلالِ، بحيثُ لا يستطيعون منه فكاكًا، ولا يملكون لأنفسِهم خروجًا، فهم بثقلِ غَيِّهم مدفوعون إلى قعْرٍ من الغَيِّ عميقٍ، ولا مُخَلِّصَ لهم منه، و(في) من قَوْلِه: ﴿يُمِدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ على قِراءَةِ نافِعٍ وأبي جَعْفَرٍ اسْتِعارَةٌ تَبَعيَّةٌ بتَشْبيهِ الغَيِّ بمَكانٍ

من أوغل في ظلمات الضَّلال، لم يستطع منها فكاكًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 234/9.

(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 550/5، 551.

المُحارِبَةِ، وأمّا على قِراءَةِ الجُمْهورِ؛ فالمعنى: وإخْوانُهُم يَمُدّونَ لهم في الغَيِّ مِن مَدٍّ لِلْبَعيرِ في الطّولِ، أيْ: يُطيلونَ لهمُ الحَبْلَ في الغَيِّ، تَشْبيهًا لِحالِ أهْلِ الغِوايَةِ وازْديادِهم فيها بحالِ النَّعَمِ المُطالِ لَها الطّولُ في المَرْعَى، وهو الغَيُّ، وهو تَمْثيلٌ صالِحٌ لاعْتِبارِ تَفْريقِ التَّشْبيهِ في أجْزاءِ الهَيْئَةِ المُرَكَّبَةِ، وهو أعْلَى أحْوالِ التَّمْثيلِ، ويَقْرُبُ مِن هذا التَّمْثيلِ قَوْلُ طَرَفَةَ[1]:

لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ ما أخْطَأ الفَتَى *** لَكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ باليَدِ

وَعليه جَرَى قَوْلُهُمْ: مَدَّ اللهُ لِفُلانٍ في عُمُرِه، أو في أجَلِه، أو في حَياتِه[2].

إيثارُ لفظِ ﴿ٱلْغَيِّ﴾ دونَ غيرِه:

الـغـيُّ هـوًى يـجـانـب الصَّوابَ، ويقودُ النَّفس إلى ما يعابُ

في قوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ أوثِرَ لفظُ ﴿ٱلْغَيِّ﴾ دون غيره؛ لأنَّه يحملُ معنى الضَّلال وزيادة؛ إذْ هو ضلالٌ مسبَّبٌ عن هوًى، أو اعتقاد فاسد، فلفظ (الغَيِّ) هنا يشيرُ إلى ما هم عليه من ضلالٍ، وما يؤولون إليه من فسادٍ، والجملةُ من الآيةِ تشيرُ إلى أنَّ ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾، تعني: أنَّهم يكونون مددًا لهم فيه، ويعضدونهم، ثُمَّ لا يمسكون عن إغوائهم[3].

دلالةُ الحرفِ (ثُمَّ) في الآية:

أغـوى مـن الغاوي من يزيّنُ لغيرِه الغوايةَ

قولُهُ تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾، جاءت (ثُمَّ) لِلتَّرْتيبِ الرُّتْبِيِّ، أيْ: وأعْظَمُ مِنَ الإمْدادِ لهم في الغَيِّ، أنَّهُم لا يَأْلونَهُم جُهْدًا في الازْديادِ مِنَ الإغْواءِ، فلذلك تَجِدُ إخْوانَهُم أكْبَرَ الغاوينَ[4].

وجهُ عطفِ جملةِ: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ على ما قبلَها:

جملةُ: ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ في محلِّ رفعٍ معطوفة على جملةِ

(1) البيت من بحر الطّويل، لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه، ص: 26.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 236/9.
(3) الأبياريّ، الموسوعة القرآنيّة: 545/9.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 236/9.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾، وعطف هذه الجملة على ما قبلَها للدَّلالةِ على إصرارهِم على الشَّرِّ والفساد لفقدِ الوازعِ النَّفسيِّ والواعظِ القلبيِّ؛ ولأنَّهم أطمعوا الشَّيطانَ فيهم.

إصرارُهُم على الشَّرِّ والفساد، نأيٌ عن الهدى والرَّشاد

سرُّ استعمالِ الفعلِ: ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ دونَ غيرِهِ:

استعمالُ الفعل: ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ دونَ غيرِهِ، للدَّلالةِ على الكفِّ عنهم مع القدرةِ عليهم[1]، واستمرارهم في الضَّلال وعدمِ الارعواء، فالإقصارُ: الانتهاءُ عن الشَّيءِ، وقال ابن عبّاس: لا يسأمون، والمعنى: لا يقصرُ الشَّياطين في مدِّ الكفّارِ في الغيِّ، ولا يكفّون عن الضَّلالة، ولا يتركونها، والكافرُ لا يتذكَّرُ، ولا يرعوي، وقال ابنُ عبّاس: لا الإنس يمسكون عمّا يعملون من السَّيِّئات، ولا الشَّياطين تمسك عنهم، وعلى هذا يُحْمَلُ قولهُ: لا يقصرون على فعل الإنسِ والشَّياطينِ جميعًا[2]، ثُمَّ لا يُقْصِرونَ، أي: لا يكفّون، قالَ الضَّحّاكُ ومُقاتِلٌ: يَعْني: المُشْرِكينَ لا يُقْصِرونَ عَنِ الضَّلالَةِ، ولا يُبْصِرونَها، بخِلافِ ما قالَ في المُؤْمِنينَ[3].

الإنسانُ لا يمسكُ عن الغوايةِ، والشَّيطانُ لا يرعوي عن الإغواءِ

دلالةُ استعمالِ صيغةِ المضارعِ:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾، تشيرُ صيغةُ المضارعِ إلى الاستمرارِ والتَّجدُّد، ونفيهُ يدلُّ على استمرارِ النَّفي، والمُضارع المَنْفيُّ (بلا) يتَخَلَّص للاستقبال عِنْد سيبَوَيْهِ، وقالَ الأَخْفَش: إنَّه باقٍ على صَلاحيَّة الأمريْنِ، واخْتارَهُ ابْن مالك في التَّسهيل[4].

دلالةُ المضارعِ المنفيِّ على استمرارِ النَّفي في المستقبل

الإيجازُ بحذفِ متعلَّقِ الفعلِ:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ حُذِفُ متعلَّقِ الفعلِ لدلالةِ ما قبلَهُ عليهِ، ويكونُ المعنى على أنَّه من (قصر): ثمَّ لا ينقصون من

من بلاغةِ أسلوبِ الحذفِ دلالةُ ما قبلَ المحذوفِ عليهِ

(1) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 212/4.
(2) القنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 111/5.
(3) البغويّ، معالم التنزيل: 262/2.
(4) ابن مالك، شرح التّسهيل: 19/1.

إمدادِهم وغوايتهم،[1] فهم لا يكفّون عن اتِّباع الشَّياطين، ولا يتوبون، ولا يرجعون إلى الله تعالى، وهؤلاءِ بخلاف المؤمنين المذكورينَ في الآية السّابقة، أو من (أقصر)، ويكونُ المعنى: ثم لا يمسكون عن إغوائِهم، والفعلُ على هذا بضمِّ الياء وكسر الصّاد من الرُّباعي.

لطيفةُ توافقِ الفاصلةِ مع سابقتِها في الصَّوامتِ والصَّوائتِ:

التَّلاؤمُ في الأصواتِ تأنسُ له الأذنُ، ويرتضيه الذَّوقُ

إنَّ المماثلةَ بين: ﴿مُّبْصِرُونَ﴾ و﴿يُقْصِرُونَ﴾ في الوزنِ وحرفي الصّاد والرّاء مع الواوِ والنّون من لزوم ما لا يلزم، وقد جاءَ حسنًا بديعًا؛ لأنَّه جاء سلسًا غير متكلَّفٍ، ولا مجلوبًا اجتلابًا، وجاء كُلٌّ من اللَّفظين ملائمًا للمعنى المرادِ منهُ[2].

وقفةٌ تدبُّريَّةٌ مع فاصلةِ الآيةِ الكريمةِ:

فاصلةُ الآيةِ تدلُّ على أنَّهم لا ينتهون، بل يدومون على غيِّهم

ويشيرُ مرماها ومغزاها إلى أنَّ الشَّرَّ يستمرُّ مع مقاومةِ الفطرةِ، باستمرارِ دعاةِ الغيِّ وأنصارِه، وكان مدُّهم وتزيينهم مستمرًّا يغذّي شجرة الشَّرِّ، كما يغذّي الماءُ القذرُ النَّباتَ الخبيثَ الَّذي لا يكونُ إلّا نَكِدًا، فالشَّرُّ يتغذَّى بدعاةِ الشَّرِّ، وينمو، ويغلظُ سوقه بهم، والفسادُ لا يستشري في جماعةٍ، ويعمُّها بالشَّرِّ إلّا بالبيئةِ الفاسدةِ، وبالرَّأي العامِّ الفاسدِ المرذولِ، فإخوانُ السّوءِ يمدّون بالغيِّ، وسواء أكانوا آحادًا، أم كانوا جماعاتٍ، وكلمة إخوانِهم تنطبقُ عليهم، وإنَّ من يُرد إصلاحَ جماعةٍ لا يُصلحُ آحادها ابتداء، إنَّما يُصلح نيَّة الإخوان الَّذين يسيطرون على جوِّها العامِّ أوَّلًا، ثمّ يُصلحون الآحادَ، فيصلحون بالجولةِ الأولى، وإنَّك إن علوتَ من رذائلِ الأفعال إلى فسادِ العقول، تجدُ إخوانَ السّوء هم الَّذين يمدّون في فسادِ العقولِ بعبادةِ الأوثانِ والكفرِ بالآيات[3].

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 213/4، والزّجاج، معاني القرآن: 439/2.
(2) عبد الرحمن، بلاغة اللغة العربية: 533/2.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3048/6.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإخوانُ والإخوةُ:

لفظُ (إخوان) كثيرٌ في غيرِ النَّسبِ، ولفظُ (الإخوة) كثيرٌ في النَّسَبِ

وردَ معنى الأخوَّةِ في القرآن الكريم على ضروبٍ مختلفةٍ كما ذكر المفسِّرون: فمنها: النَّسب، كقولهِ تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 30]، ومنها: القبيلةُ، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85]، ومنها: الدّين، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: 103]. والإخوةُ والإخوانُ جمع أخٍ، سواءٌ في ذلك أخو النَّسبِ وأخو الصَّداقةِ، وقال أهلُ البصرةِ: الإخوةُ في النَّسب، والإخوانُ في الأصدقاء، وقال أبو حاتم: هذا غلطٌ، بل كلٌّ يستعمل فيهما[1]، والحقيقةُ أنَّ قولَ أهلِ البصْرةِ معتبرٌ؛ إذ إنَّ جمعَ الأخِ على (إخوان) كثيرٌ في غير النَّسب، وورد قليلًا في النَّسبِ، وقد ذكرَ ذلكَ ابنُ عطيَّةَ[2].

المدُّ والإمدادُ:

المـدُّ: ما يمدُّ به الشَّيءُ، أي: يزادُ ويكثر، والإمداد: الإعطاءُ والإعانةُ

(المددُ) هو: ما يمدُّ به الشَّيء، أي: يزادُ ويكثر، ومنه: أمدَّ الجيشَ بمددٍ: إذا أرسل إليه زيادة، وأمّا (الإمدادُ)؛ فهو الإعطاءُ، والإعانة، فالمددُ يكثرُ استعمالهُ في اسم المصدر، وقد يطلق المددُ على المصدرِ من مدَّ يَمُدُّ مدًّا، والإمدادُ هو مصدرُ (أمدَّ)، وهو إعطاءُ الشَّيءِ بعد الشَّيءِ، والمَدَدُ: ما أمدَدْتَ به قومًا في الحربِ وغيره من الطَّعامِ والأعوانِ[3]، والمددُ يطلقُ على كلِّ ما تُمديهِ غيرَك، أي: تعينهُ وتنصرهُ[4].

الغيُّ والضَّلالُ:

أصلُ الغيِّ: الفسادُ، ومنه يقالُ: غوى الفصيلُ؛ إذا بشمَ من كثرةِ

(1) الدّميريّ، النّجم الوهاج في شرح المنهاج: 135/6.
(2) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 498/13.
(3) الخليل، العين: (مدد).
(4) الشّدياق، الجاسوس على القاموس: (مدد).

شُربِ اللَّبن، وإذا لم يرو من لبنِ أمِّه، فمات هزلًا، وأصلُ الضَّلال: الهلاكُ، ومنه قولهم: ضلَّت النّاقة؛ إذا هلكت بضياعها، وفي القرآن ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ [السّجدة: 10]، أي: هلكنا بتقطُّع أوصالنا، فالَّذي يوجبهُ أصل الكلمتين أن يكون الضَّلالُ عن الدّين أبلغَ من الغيِّ فيه، ويستعمل الضَّلال أيضًا في الطَّريق، كما يُستعمل في الدّين، فيقالُ: ضلَّ عن الطَّريق؛ إذا فارقه، ولا يستعمل الغيُّ إلّا في الدّين خاصَّةً، فهذا فرقٌ آخرُ، وربَّما استعمل الغيُّ في الخيبة، يقال: غوى الرَّجل؛ إذا خابَ في مطلبهِ، والضَّلالُ يتصرَّفُ في وجوهٍ لا يتصرَّفُ الغيُّ فيها[1].

الغيُّ: الفسادُ في الدّين، والضَّلالُ: التّيهُ والهلاكُ في الدّين وشؤونِ الحياة

الإقصارُ والكفُّ:

فالإقصارُ الكفُّ عن الشَّيءِ، قال ابن عبّاسٍ: أي: لا يُمسك الغاوي عن الضَّلالِ والمغويَّ عن الإضلالِ[2]، والكفُّ بمعنى المنعِ والصَّرفِ، يقالُ: كَفَّ الرَّجلَ عنِ الأمرِ، وكَفْكَفَه: مَنَعَهُ وصَرَفَهُ، فكَفَّ هو، كقولهِ: ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ [المائدة: 11]، وقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [النساء: 84]، فاستعمالُ الإقصارِ؛ لأنَّه أخصُّ من الكفِّ والاكتفاءِ، أي: لا يتركون إغواءهم ولو لحظة لجهلهِم وشَرِّهم.

الإقصارُ: الكفُّ عن الشَّيءِ، وهو في دلالته أخصُّ من الكفِّ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 293.

(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 366/3.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»